بالرغم من إقدام بل على شراء البيت الجديد، فإن الصراع بين عقلي وقلبي استمر؛ كنت أحب بل بشغف، إلا أن طموح عمري المتمثل بفعل بعض الخير في العالم بقي ثابتًا، لم أكن أعرف حجم الخير الذي كنت أستطيع فعله في آركنسو، وكنت عاجزة عن امتلاك الجرأة اللازمة للإقدام على القفزة.

أسعفتني الظروف؛ فضيحة ووترغيت النكسونية كانت موشكة على الانفجار، ربما يؤدي إلى تقويض قدرة الحزب على الاهتداء إلى أي مرشح جمهوري مؤهل للفوز في انتخاب نيابي بمقاطعة بل، فراح يفكر بالترشح للمنصب شخصيًّا. إذا كان نكسون سيُحقق معه من قبل لجنة المجلس القضائية، وسيتهم من قبل الكونغرس، وسيحاكم من قبل مجلس الشيوخ، فإن العملية كان من شأنها أن تستغرق مدة سنة على الأقل، وبما أن شهرتي بوصفي محامية كانت محلقة، فقد عُرض عليَّ عمل في فريق محققي الاتهام.

كان من شأن عملي أن يتمثل بمعاينة المعلومات الإجرائية ذات العلاقة بعمليات اتهام سابقة، مهمة كنت سأبدع فيها بفضل مهاراتي التنظيمية، وبعد ذلك يمكننا – بل وأنا – أن نشكل زوجي واشنطن القويين الفتيين الجديدين. أعجبتني الفكرة، وقررنا الانخراط في الأمر ورؤية ما يحصل.

ذات يوم بعد نحو شهرين من عرضه الأول للزواج، حدقت في عينيه الجميلتين وقلت: لا أستطيع العيش بعيدًا عن هذا الرجل، وهكذا فقد أقدمت – أخيرًا مثل ملايين النساء من قبلي – على الزواج حبًّا، قررت اتباع المسار التقليدي لجيل أمي والسير خلف رجُلي؛ قررت أن أكون شريكته، ومديرته، ومستشارته الناصحة، قررت أن أسمع كلام قلبي.

رفضت أي خاتم خطبة وخططت لاحتفال بيتي بسيط في فاييتفيل، بلا أي طنطنة؛ لم تُرسل أي بطاقات دعوة إلى حفل زفاف، تقرر أن يكون الزفاف في الحادي عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 1975م، في غرفة معيشة في بيت صغير أنيق كان بل قد اشتراه، عشية زفافي سألتني أمي عن الثوب الذي كنت أخطط لارتدائه، أجبتها: ثوب! أي ثوب؟ ما كنت سأرتديه، لم يكن مهمًّا بنظري.

ما كان يهم تمثل بواقع كوننا – بل وأنا – عازمين أخيرًا على الزواج. ذُهلتْ أمي رعبًا وجرتني بسرعة إلى محلات ديلارد، المحلات الوحيدة التي تبيع أثواب الزفاف. اقتربت من أحد الرفوف وسحبت الثوب الأول الذي وقعت عيني عليه، طراز جسيكا كلينتوك من العصر الفكتوري. ودون ارتدائه للتجربة، قلت: هذا مناسب؛ ارتديته في المناسبة. لم أسمع أي شكاوى.